جـامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المستوى: الثانية ماستر. **السنة الجامعية: 2023/2022**
التخصص: لسانيات عامة. **السداسي الأول.**
مادة: الأسلوبية. **أستاذ المادة: أ. د. محمد بن يحي.**

المحاضرة السادسة
منهجيّة التحليل الأسلوبي وآلياته

إنه لمن الضرورة بمكان -ونحن في آخر هذا الجزء النظري- أن نتطرق إلى منهجية التحليل الأسلوبي وآلياته؛ ذلك أن المعلومات النظرية مهما كانت قيمتها العلمية لن تؤتي أكلها إلا إذا شُفِعَت بمنهجية التحليل، وآليات التطبيق.

1. **عُدّة المحلّل الأسلوبي**: قبل أن نتطرق إلى عمل المحلل الأسلوبي ومنهجية التحليل، ارتأينا أن ننبّه إلى الصفات التي يجب أن تتوفّر في دارس الأسلوب، وإن شئت قل: عدّة دارس الأسلوب وزاده؛ ذلك أن المطلع على الدراسات الأسلوبية العربية التطبيقية يجد قصورا كبيرا في معظمها، ومردّ ذلك القصور إلى افتقار كثيرٍ من المحللين إلى العدّة التي تمكّنهم من الولوج إلى أغوار النصوص وسبرها، وإضاءة زواياها المظلمة.

لا جرَم أن هناك خلالا لا يكون دارس الأسلوب دارسَ أسلوب إذا تجرد منها، وهي:

1. 1. إتقان علوم اللغة: أصواتها، وصرفها ونحوها، ودلالتها، وبلاغتها، وعَروضها؛ ذلك أن المدخل إلى الدراسة الأسلوبية إنما هو مدخل لغوي.

1. 2. الاطلاع على النظريات اللسانية بكلّ اتجاهاتها؛ فالأسلوبية -كما هو معلوم- تستند في منطلقاتها إلى اللسانيات، فهي تستعير منها كثيرا من المفاهيم والمصطلحات.

1. 3. الإحاطة الكافية بالاتجاهات الأسلوبية، ونظريات الأسلوب، ومعرفة جذورها المعرفيّة، ومنطلقاتها الفكرية.

1. 4. القدرة على اختيار المنهج الأنسب للدراسة، والتقيد به.

1. 5. تمييز حدود العلم الذي يتعاطاه (الأسلوبية) وعلاقته بالعلوم الأخرى، فدارس الأسلوب الذي لا ترتسم حدود الأسلوبية واضحةَ المعالم في ذهنه غيرُ آمنٍ الوقوعَ في مزلقين: أولهما: القصور، فتغدو

دراسته مجرد إضاءات يسلّطها على بعض الظواهر الأسلوبية في العمل الأدبي المدروس، فيقنع بما هو ظاهر من السمات، ولا ينفذ إلى أغوار النص؛ ليميط اللثام عن مكنوناته، ويهتك الحُجُب عما هو كامن مستتر.

وثانيهما: تجاوز حدود الأسلوبية إلى سواها من العلوم ذات الصلة بها، فتستحيل تلك الدراسة ربما نقدية، أو بلاغية، أو حتى لسانية.

1. 6. المعرفة الواسعة بصاحب النص، والظروف المحيطة بإنتاجه (النص)، فتلك المعرفة نِعْمَ العون على فهم دلالات النص وتفسيرها.

1. 7. تيقظ الذهن، ودقّة الذوق، ورقة الشعور، فذاك مما يساعد المحلل الأسلوبي على تذوق النص، واكتشاف مميزاته الأسلوبية؛ فبعض السمات لا يكون ظاهرا طافيا على السطح، بحيث يستطيع أيُّ عابر سبيل الوقوف عليها، فقد تكون مستورة مكنونة، ولكن لها مفعول الكهرباء، فهي وإن لم تكن ظاهرة للعيان، فإنها هي التي تمد النص بالطاقة والحياة.

1. 8. وزيادة على ما سبق ذكره من صفات يجدر بدارس الأسلوب أن يكون ذا أسلوب جيّد سلس؛ فالتحليل الأسلوبي إنتاج جديد للنص، ولا بد من أن يساق إلى القارئ في ثوب جميل، فهو وإن كان يقدّم تحليلا علميا وصفيا، فإنه في الوقت نفسه يبدع النص بالنسبة للقارئ. ولسنا نعني بجمال الأسلوب ذلك الأسلوب الفضفاض ذا العبارات الهيولية التي لا يوقَف لها على حدود.

2. عمل المحلل الأسلوبي: لا نكون مخطئين إذا قلنا بأن عمل المحلل الأسلوبي ينطلق أساسا من محاولة الإجابة عن السؤال المهمّ الذي طرحه "جاكوبسون": «ما الذي يجعل من رسالة كلاميّةٍ عملا فنيا؟»[1]؛ فإن إجابة هذا السؤال لتُحدِّد هدفَ المحلل الأسلوبي المتمثل أساسا في البحث عن العناصر اللغويّةِ التي تجعل النصَّ الأدبيَّ أدبيا، أي: البحث عن سماته وخصائصه الأسلوبية.

وهذا يقتضي من المحلل الأسلوبي ألاّ يدرس أسلوبَ النصّ كلّه، و«إنما يركّز على مظاهرَ دون أخرى»[2]، فعمله إذاً يقوم على الاختيار؛ «لتمييز الوحداتِ اللغوية التي لا تقع ضِمْن المعطيات الأسلوبية؛ وذلك لأن النص يحتوي على بعض الظواهر اللغوية التي يمكن أن تُعدّ أسلوبا، ويحتوي على وحدات لغويةٍ لا يمكن أن تحتويَ على سمات أسلوبية»[3]. فالحذف الواجب -مثلا- لا يدخل ضمن الدراسة الأسلوبية؛ إذ تفرضه قوانين اللغة، ولا اختيار لصاحب النص فيه، أما الحذف الجائز الموظّف لغاية أسلوبية، فذاك ما

1- R. Jakobson, Essais de linguistique générale, 1, Les fonctions du langage, p110.

2- نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1، ص160.

3- موسى ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ص20.

يجب دراسته. ففي قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى/5]، فإن حذف المفعول به الثاني للفعل "أعطى" يدخل ضمن الدراسة الأسلوبية؛ ذلك أنه حذف جائز ومقصود، وقد حقق غايات أسلوبية؛ فزيادة على إطلاق المعنى وتوسيعه، بحذف المفعول الثاني، فقد أسهم في تحقيق التوازن البنائي بين هذه الآية والآيتين: السابقة والتالية.

كما يجدر بالمحلل الأسلوبي أيضا عدم الاهتمام بالصورة البلاغية؛ بوصفها انزياحا إلا بمقدار ما يكون لها من وظيفة أسلوبية في النص، فبعض الصور البلاغية قد أصبحت ميتة مبتذلة؛ بسبب كثرة الاستعمال، فأضحت إلى الحقيقة أقرب منها إلى المجاز.

وعليه كذلك ألا يقف عند دراسة الوزن والقافية إلا إذا كانا يسمان النص الشعري، أو يسهمان في فرادته.

إن عمل المحلل الأسلوبي -كما أسلفنا- يقوم على الاختيار، وهذا الاختيار، أو الانتقاء لا يعني أبدا الفصلَ بين العناصر اللغويةِ المشكّلةِ للنص الأدبي؛ إذ «يجب علينا أن نقرأ قصيدةً كما نشاهدُ لوحةً، أي أن نفهمها ككل، بحيث نحدد جيّدا علاقاتِ كلِّ عنصر بالآخر»[1]. فالانتقاء إذاً إجراءٌ عمليّ؛ لإبراز الخصائص والسّماتِ اللغوية التي جعلت النصَّ الأدبيَّ أدبيا.

ويبدو لنا أن مَثَل الباحث الأسلوبي كمَثَل المنقّب عن التّبر، يُغربلُ أطنانا من التراب، ليظفر بغرامات معدودات من التّبر، بعد جهد جهيد، وتأمّل طويل.

3. منهجية التحليل الأسلوبي وآلياته: على المحلل الأسلوبي أن يتقيّد بمنهجيّة صارمة، وأن يلج نصَّه الذي يريد تحليله بخطوات محسوبة؛ حتى لا يكونَ عملُه مجردَ إضاءاتٍ يسلّطها على النص، أو إحصاء لظواهرَ أسلوبيّةٍ دون الوصول إلى جوهرها. وحتى يسبرَ أغوارَ أسلوبِ النصّ لا بد من اتباع الخطوات الآتية[2]:

3. 1. الاقتناعُ بأن النصَّ جديرٌ بالتحليل، فحُسْن اختيار مادة الدراسة أول خطوة يخطوها المحلل في الطريق الصحيح. فعليه أن يختار النصوص التي تنطوي على ظواهر لغوية لها قيمتها الأسلوبية؛ فالنصوص ليست في مستوى واحد من حيث بنيتها الأسلوبية، فمنها ما يزخر بالظواهر الأسلوبية، ومنها ما تكون فيه تلك الظواهر شحيحة؛ فيجد المحلل نفسه، وكأنه يطارد السراب، أو يبحث عن إبرة في كومة قش! وقد يضطر إلى ليّ أعناق النصوص، أو الوقوف عند أي انزياح، حتى وإن لم تكن له أية قيمة أسلوبية.

---

[1]- فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون، ص9.

[2]- اقتبسنا هذه الخطوات من أحمد فتح الله سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقيّة، ص18 – 54 – 55. ومولينيه، الأسلوبية، ص34 – 74.

3. 2. تحديدُ مادةِ الدراسة (نص أدبي، مجموعة من الأعمال الأدبية، ظاهرة أسلوبية واحدة، مجموعة من الظواهر الأسلوبية...). وتتجلى أهمية هذه النقطة في اختيار المنهج الأنسب للدراسة؛ فالمنهج الذي سيتبعه المحلل الأسلوبي يختلف إذا ما كان يهدف إلى تحليل نص واحد، أو مقاربة مجموعة من النصوص، أو مجموعة من الظواهر الأسلوبية في إنتاج مبدع واحد، أو لدى أكثر من مبدع واحد...

3. 3. قراءةُ العملِ الأدبيّ المراد تحليله مرات عديدة؛ حتى ينتابه انطباعٌ جماليٌّ يهيمن على نفسه، وهذا الانطباع يُسمى الأثر؛ إذ لا بد من أن تقوم بين النص ومحلله علاقة حميمة. فدارس الأسلوب لا بد أن يهيمن عليه التعاطف مع النص الذي يدرسه. وإن لذلك لفائدة عظيمة؛ فالنص لا يسلّم زمامه إلا لمن يحسن ترويضه، ولا يكشف أسراره، ولا يبدي زينته إلا لمن يحسن مراودته.

3. 4. القيام بسلسلة من القراءات؛ لاكتشاف خاصية كلامية تَلفت انتباهه من حيث هي سمةٌ متكرّرة، فبعض السمات الأسلوبية قد لا يظهر إلا بعد قراءات عديدة.

3. 5. ملاحظةُ الانزياحات وتسجيلُها، بهدف الوقوف على مدى شيوع الظاهرة الأسلوبية أو ندرتها في النص؛ فالظاهرة الأسلوبيّة لا تسجّل بشيوعها وحضورها، وحسب، بل تُسجّلُ أيضا بغيابها وندرتها.

3. 6. تحديدُ الخصائص الأسلوبية التي يتّسم بها أسلوبُ النص، وتصنيفها حسب مستويات التحليل الأسلوبي، فيعد -فمثلا- قائمة بالخصائص الصوتية والإيقاعية، وثانية بالخصائص الصرفية، وثالثة بالخصائص التركيبيّة، ورابعة بخصائص الصورة الفنية، وخامسة بخصائص البنية المعجمية.

3. 7. القيام بسلسلة أخرى من القراءات؛ لاكتشاف الخصائص التي لم تُكتشف في البداية.

3. 8. دراسة تلك الخصائص الأسلوبيةِ دراسةً منظَّمة، وفي جميع الاتجاهات، وذلك بأن يربط بين مختلف السمات الأسلوبية والموضوع والعاطفة والشعور، كأن يربط بين الخصائص الصوتية والصورة الفنية والعاطفة والشعور في دراسة الخطاب الشعري؛ فشيوع الأصوات الصفيرية -مثلا- في سينية البحتري، لا مناص من ربطه بموضوع القصيدة، وحالة الشاعر النفسية.

وعلى العموم على دارس الأسلوب ألا يغفل، ولو طرفة عين، عن كون النص بنية متكاملة بدواله ومدلولاته.

4. محاذير التحليل الأسلوبي: قد يقع دارس الأسلوب في هفوات تُنقص من قيمة دراساته، أو تجعلها عقيمة لا اكتشاف فيها ولا إبداع؛ ولذا كان لزاما عليه أن يحذر:

4. 1. الفصل بين الشكل والمحتوى. فقد يغفل المحلل الأسلوبي، فينساق وراء الأشكال يتتبعها، واضعا في ذهنه أن الدراسة الأسلوبية إنما هي دراسة الشكل، ويسيء فهم مقولة "جورج مولينيه George Molinié": «ومن الحكمة أن لا نتعلق في البداية بدراسة المحتوى، أو المواضيع أو الأيديولوجية، فهذا ليس

هدفَ الأسلوبية. يجب إذن أن نبقى بقوة في وسط الأشكال، والمكوّنات اللغويّة والكلامية الإيحائية: تلك هي المادة التي يجب دراستها»[1]، فيهمل ربط الأشكال بالمحتوى، وينسى أن النص بنية، وعليه أن يدركه بوصفه وحدة لا تقبل التجزئة. وقد أكّد "جاكوبسون" على ذلك في دعوته إلى قراءة القصيدة كما تُشاهد اللوحة الفنية[2]. فكما أنه لا يمكننا فصلُ الألوان عن الأشكال في اللوحة الفنيّة، فكذلك لا يكون في إمكاننا فصل الشكل عن المحتوى في النص الأدبي.

على أنه يجب ألا نفهم من هذا بأن في الأمر تناقضا، فالقول بأنه ليس من وظيفة الأسلوبية دراسة المحتوى، لا يعني غضّ الطرف عنه وعدم التعرض له لا من قريب ولا من بعيد، بل إنه من الضرورة التطرق إليه على ألا يكون ذلك هدفا في ذاته، وإنما يكون بمقدار تبيان علاقة الشكل به.

4. 2. إصدار الأحكام التقييمية، وذلك مما يجعل الدراسة تحيد عن مسارها؛ لأن إصدار الأحكام التقييمية من اختصاص الناقد الأدبي. يقول "ريفاتير": «الأحكام التقيميّة مهمة النقد، فهي عملٌ ما وراء أسلوبي (méta -stylistique): موضوع الأسلوبية ليس إلا الملاحظة»[3].

4. 3. إغفال دور المتلقي، والتجربة الأدبية لصاحب النص، والظروف المحيطة بالخطاب، أي إنه يتعين على دارس الأسلوب أن يتعامل مع العمل الأدبيّ على أساس أنه خطابٌ يتمُّ إنتاجه وتلقّيه، فدراسة النص دراسة بنيوية محضة قد تؤدي بالدارس إلى مزالق خطيرة غير محمودة العواقب، لمّا يجتث النص من مقامه.

4. 4. الانسياق وراء الانزياحات، فعلى المحلل ألا يكون بحثه مطاردةً للانزياحات إلا بمقدار ما يكون لها من قيمة أسلوبية، ومن ثمة استبعاد تلك التي لا تسم النص بالأدبية.

4. 5. التقيد باتجاه أسلوبي واحد، أو نظرية أسلوبية واحدة، معتقدا أن ذلك صرامة منهجية، بيد أنه عليه أن يستفيد من جميع الاتجاهات الأسلوبية، وكل نظريات الأسلوب التي يراها تخدم تحليله؛ فاقتصاره على اتجاه واحد، أو نظريةٍ واحدةٍ قد يجعل التحليلَ الأسلوبيَّ قاصرا عن إبراز الخصائصِ الأسلوبية في العمل المدروس.

---

[1]- مولينيه، الأسلوبية، ص163.

[2]- فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون، ص9.

3- Alain Hardy, Théorie et méthode stylistiques de M. Riffaterre, In, Langue française, N° 3, 1969, p94.